333579 ـ نصراني يستفسر عن سبب عدم تطرق القرآن إلى ادّعاء اليهود أن النسب الإسرائيلي يحصل من جهة الأم

السؤال

أنا غير مسلم، أعرف أن القرآن يكرّم موسى، لكن لماذا لم يفسّر ما قاله اليهود في الإنجيل من خلال رؤية التلمود : " أنك تكون إسرائيليّا إذا كانت أمك كذلك، وإذا لم تكن أمك اسرائيليّة لكن أبوك كان كذلك ، فإنك لا تعتبر اسرائيليّا، وأنت لا تُنسب للأب لذا أنت ملعون؟ يقولون : إنّ الطريق لذلك أن تتحوّل الأم لليهودية لأنها ستكون إسرائيلية، و "تتجسّد ثانية" وهذا لا معنى له، إنهم يعتقدون أنّ أنبيائهم آمنوا بذلك بما في ذلك موسى، ماذا يقول الإسلام عن هذا ؟ وعن لعن الأطفال لمجرد أن والدهم كان إسرائيليًا فقط ؟ تقول اليهودية : أنه لا توجد خطيئة أصلية في دينهم، لكن هناك استثناءات للقاعدة كما هو موضح أعلاه.

ملخص الإجابة

عدم تطرق القرآن لمثل هذه القضية ليس مما يستشكل؛ لأن القرآن الكريم إنما هو كتاب هداية للناس، ونور وبرهان.

والإسلام فصّل في نسبة الأولاد وأنها تكون لآبائهم لا غير. وفائدة النسب هو لحفظ الأنساب وما يتعلق بها من حقوق وأحكام معاملات، من إرث ونكاح وصلة الرحم وغيرها.

لكن النسب لا علاقة له بالنجاة أو الخسران واللعن؛ لأن هذه الأمور متعلقة بعمل الإنسان وكسبه، فيوم القيامة لا ينتفع الشخص بنسبه، وإنما بعمله.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا: القرآن الكريم كتاب هداية للناس، ولم ينزل ليستقصي أخبار الماضين

عدم تطرق القرآن لمثل هذه القضية ليس مما يستشكل؛ لأن القرآن الكريم إنما هو كتاب هداية للناس، ونور وبرهان.

قال الله تعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ

الشورى/52-53 .

وقال لأهل الكتاب، يدلهم على ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه وشريعته:

يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
المائدة/15-16 .

اعتنى ببيان أصول ضلالات اليهود والنصارى في عقائدهم وأديانهم ، عن الدين الحق الذي ارتضاه رب العالمين لعباده ، ونسخ ما كانوا يتعبدون به من الشرائع قبل شريعته، وأخبر العباد أنه إنما ارتضى لهم الإسلام دينا ، يلقون به رب العالمين.

قال الله تعالى : الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ المائدة/3 .

وقال تعالى : وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ آل عمران/85 .

ولم ينزل القرآن ليستقصي أخبار الماضين، بل تطرّق فقط لبعض الحوادث، كما نص على هذا القرآن في عدة آيات ومن ذلك؛ في قوله تعالى:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ غافر/78.

لأن الحكمة من هذه القصص إنما هي المقصد القرآني العام، وهو الهداية، وتبشير المستجيب لها، وانذار المنحرف عنها.

قال الله تعالى: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الإسراء/9 ـ 10.

فالقصص القرآني هو قصص هداية، بأخذ العبرة منها ، كما قال الله تعالى عن قصص الأنبياء عليهم السلام: لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ يوسف/111.

وقال الله تعالى: فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ الأعراف/176.

ولتثبيت المؤمنين. قال الله تعالى: وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى

لِلْمُؤْمِنِينَ هود/120.

وإقامة الحجة على أهل الكفر من مشركين وأهل كتاب ، كما أشار إلى هذا القرآن في آيات عدة، ومن ذلك قوله تعالى بعد ذكره لقصة نوح عليه السلام:

تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ هود/49.

وكقوله تعالى مقيما للحجة على اليهود:

كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ آل عمران/93 ـ 94.

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ رواه مسلم (1844).

فلهذا إذا لم يفصّل الله تعالى خبرا من أخبار أهل الكتاب؛ فهذا يعني عدم الحاجة إليه، وأن الهداية حاصلة بدون العلم به.

ثانيا: في الإسلام تكون نسبة الأولاد لآبائهم ولا علاقة للنسب بالنجاة أو الخسران واللعن

الإسلام فصّل في نسبة الأولاد وأنها تكون لآبائهم لا غير.

قال الله تعالى: ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا الأحزاب/5.

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ رواه البخاري (3508)، ومسلم (61).

وفائدة النسب هو لحفظ الأنساب وما يتعلق بها من حقوق وأحكام معاملات، من إرث ونكاح وصلة الرحم وغيرها.

لكن النسب لا علاقة له بالنجاة أو الخسران واللعن؛ لأن هذه الأمور متعلقة بعمل الإنسان وكسبه، فيوم القيامة لا ينتفع الشخص بنسبه، وإنما بعمله.

قال الله تعالى: حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ

وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ، فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ المؤمنون/99 ـ 103.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، يَا أُمَّ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ! عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! اشْتَرِيَا أَنْفُسَكُمَا مِنَ اللَّهِ، لاَ أَمْلِكُ لَكُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، سَلاَنِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمَا رواه البخاري (3527)، ومسلم (206).

وبين أن الولد لا يجني على أبيه ، وأن الأب لا يجني على ولده ، ولا يحمل أي منهما خطيئة الآخر، أمام رب العالمين .

عَنْ أَبِي رِمْثَةَ، قَالَ: انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي نَحْوَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِأَبِي: ابْنُكَ هَذَا؟ قَالَ: إِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: حَقًّا؟ قَالَ: أَشْهَدُ بِه.

قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَاحِكًا مِنْ ثَبْتِ شَبَهِي فِي أَبِي، وَمِنْ حَلِفِ أَبِي عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ:

أَمَا إِنَّهُ لَا يَجْنِي عَلَيْكَ، وَلَا تَجْنِي عَلَيْهِ ، وَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى [الأنعام: 164] ".

رواه أبو داود (4495) وغيره، وصححه الألباني. وينظر: مسند أحمد ، ط الرسالة (11/676-691).

وقد أصل الإسلام أصلا عظيما ، يبطل به مبدأ الخطيئة المتوارثة كله ، فلا أحد يحمل خطيئة عن أحد ، لا قريب، ولا بعيد ، وبين للعباد أن هذا هو الدين القيم، والملة الحنيفية التي كان عليها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، وهي الدين الذي ارتضاه الله لعباده .

قال الله تعالى : مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ الأنعام/160-164 .

وبين أيضا أن أحدا لا يحمل وزر أحد ، وإن كان شيئا قليلا، قليلا!

قال تعالى: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ فاطر/18 .

بل بين أن هذا الأصل العظيم – أن كل مكلف مسؤول عن عمله ، وأنه لا يحمل الوزر والمسؤولية عن أحد ، كما أن أحدا لا يحمل عنه وزره ومسؤوليته – بين أن هذا الأصل المناقض لوراثة الخطيئة : مقرر في الكتب السابقة ، جاء به إبراهيم أبو

الأنبياء عليه السلام ، وجاء به موسى عليه السلام .

قال الله تعالى : أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى * وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى النجم/36-42 .

والله أعلم.